حريق الرماد

شعر: أحمد عبدالحفيظ شحاتة
مصر

« إلى روح الذي أسرته عرائس الشعر فآثرها واصطفاها ، وغنى لها ، فأسمعها من حجرته التي لم يبرح فيها طوال عمره كرسيه المتحرك، أسمعها رنين خفقات قلب العالم ، ويجمع حوله يمام القريض، فشدا حوله والتف شعراء وأدباء كثيرون . إلى الشاعر عبدالله السيد شرف* – رحمه الله.

حين ترحلُ
يذبل وجه اللغات
وتنحل بحبوحة الضوء
تدخلني شهقة، وتعاظلني
الترهات البليدةُ
أصمت ، لا شيء يجدى
فيصمت حولي المكانُ،
يئن على الخافقين الزمانُ.
فأسأل – يختط صوت الهشيم
نهيرا كسيحاً
على وجه أفقٍ
بوجهي ينامُ
متى يستريح على شفة العابرين
الكلامُ؟!

حين ترحلُ
تذهل عن نفسها الخارطاتُ،
وتكبو المواقيتُ،
تذوي غصون السنا
يمّحى للنشيد المقطر بالنور بوحُ
وللفرح الكوثري الموشى بصوتكَ
يخبو انتشاءُ

وأنت الذي قد تآلفت فينا
كما يتآلف عند قدوم الربيع
بجوف الطيور النداءُ
وزفت على شفة الروح منك
طيور السنا
واستراحت سماءُ

لنا موعدٌ
طالع من صحاف تذكرنا
مجهدا

لنا موعدٌ
أثقلته الخطى
حاصرته التواريخُ
ضاقت به فانثنى
في رهيف الأغاريد،
خطو الثريا على الأفق الذهبي،
وزهر الأقاحي الممـوسق بين
الغصون المنداة
بالنسمة المشتهاةِ،
وباللؤلؤات / الندى

لنا موعدٌ
يسبكر به الناي في شدوه[1]
والطيور تساكبه سوسنات
الفضا
والسواقي
لنا موعد
في كتاب التذكر يصحو
تمد إليه الدروبُ يديها
هسيعى الرياح[2] /عصافير موج
الحضور/
اشتهاء السواحل / شدو الرعاةِ
كأغرودة الروح
في شجر الضوء مسترسلة
يسافر فينا التلفتُ
كل صباح إليهِ
ويمشي المساء به فرحا يا
صديقي
كما يفرح الماء بالسنبلةْ
فقل لي فما زال خطوك رفق خطايَ
وما زلت تعدو،
تقاسمني مشتهايَ
حديثك ما زال ذوب النضار،
وموج البحار
يرد الحياة – بساتين عطرٍ
لحزن تكالب كالموت
بين القفار
على كوكب كيف طيرك حطّ؟!
وخلفني غيمة في الشطوطِ
تقلبها الريح بين المحال
وتعلكها كل آنٍ
سيوف انتظار؟!

تزاوجت بالنور كالألق الحي وحدكَ
صرت تفسر كالحلم
إذ فسر الضوءُ
سر الحلكْ

وجهي ووجهك خطان في الغيب ناما
فحين عبرت بجسر الغياب
حريق الرماد
أقمت أنا – بحرة[3] من سهادٍ
تذوب انقساما!! ■

* عبدالله السيد شرف شاعر مصري (١٩٤٤-١٩٩٥م).
(١) يسبكر : يسرع – والمعنى يفيد الاستمرار.
(٢) هسيعى: هسع ، كمنع بمعنى : أسرع
(٣) البحرة هي واحدة المحار سميت كذلك نسبة إلى البحر.